بسم الله الرحمن الرحيم

منهج الإسلام في مواجهة إنكار القدر والتكذيب به

اعداد د / إيلاف بنت يحيى إمام محمود
أستاذ مساعد (متعاون) تخصص عقيدة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

فالقدر من أسنى المقاصد فهو نظام التوحيد وللإيمان به أهمية عظمى في دين الإسلام؛ إذ هو قطب رحى التوحيد و ركن من أركان الإيمان.

وقد تكلمت في باب القدر- الأمم في القديم والحديث، وسارت للوصول إلى مغزاه سيرًا حثيثًا، وخاضت فيه الفرق على تنوعها وتباينها واختلافها، وصنفت فيه المصنفات على تعدد أصنافها، بل سلك الناس في هذا الباب في كل مسلك، وأخذوا في كل طريق، وقصدوا الوقوف على حقيقته، والوصول إلى معرفته من كل سبيل ؛ فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بشأن القدر، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان، فتراه إما مترددًا فيه مع ذاته، أو مناظرًا لبني جنسه، وكل قد اختار لنفسه قولاً يعتقد انحصار الصواب فيه ، فلا يرتضي إلا إياه، وجميعهم -إلا من تمسك بالوحي- عن طريق الصواب مردود، وباب الهدى في وجهه مسدود! [1]

وقد انقسم الخائضون في القدر بالباطل إلى ثلاثة أقسام:

- قدرية مجوسية تثبت الأمر والنهي وتنفى القضاء والقدر.
- قدرية مشركية تثبت القضاء والقدر وتكذب بالأمر والنهي أو ببعضه

(1)انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ١/٤٤-٤٥ .

- قدرية إبليسية تصدق بالأمرين لكن ترى ذلك تناقضًا مخالفًا للحق والحكمة. [٢]

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام : (والخائضون في القدر بالباطل، ثلاثة أصناف: **المكذبون به،** والدافعون للأمر والنهي به، والطاعنون على الرب عز وجل بجمعه بين الأمر والقدر). [٣]

فهؤلاء هم القدرية الخائضون بالباطل المذمومون في الإسلام!

يقول ابن القيم نقلاً عن شيخ الإسلام: (شيخ الإسلام ابن تيمية..سمعته يقول: **القدرية المذمومون في السنة، وعلى لسان السلف؛** هم هؤلاء الفرق الثلاث: **نفاته، وهم القدرية المجوسية،** والمعارضون به للشريعة الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ الأنعام: ١٤٨، وهم القدرية الشركية والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداء الله وخصومه وهم القدرية الإبليسية. وشيخهم إبليس، وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الحجر: ٣٩ ، ولم يعترف بالذنب يبوء به كما اعترف به آدم). [٤]

والمقصود هنا: عرض منهج الإسلام في مواجهة المكذبين بالقدر! من خلال ذكر موقف السلف منهم! فما المقصود بالتكذيب بالقدر؟ و متى ابتدع في الإسلام وظهر القول به؟ وكيف واجهه السلف؟ هذا ما ستتناوله الورقة العلمية -بحول الله-

---

(٢) انظر: الاستقامة، ابن تيمية ١/ ٤٣٣.

(٣) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٣/ ٨٢.

(٤)طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ١/ ١٨٦

❖ أولاً: في بيان معنى القدر

القدر: منشؤُه عن تقدير الله السابق وقدرته على إيجاد ما قدر،[٥] ومن هنا عرفه بعض السلف- بقولهم: القدر: هو قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير؛[٦] وعلى هذا فالمؤمن بالقدر مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله.

والقدر يتضمن إثبات علم الله السابق بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها، ومشيئته لها، ثم إيجاده لها بقدرته وفق تقديره، ومن هنا يقول شيخ الإسلام : (القضاء والقدر: وهو علم الله وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه).[٧]

ولا يخفى أن هذا التعريف فيه نص ظاهر على مراتب القضاء والقدر التي لا يتم الإيمان بالقضاء والقدر إلا بها؛ وهي على سبيل التفصيل أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: علم الله السابق الأزلي بالأشياء قبل وقوعها -جملة وتفصيلاً- ، فهو سبحانه موصوف بالعلم أزلاً وأبدًا.

المرتبة الثانية: كتابته سبحانه في اللوح المحفوظ -قبل خلق السموات والأرض- لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

المرتبة الثالثة: عموم مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

---

(٥) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم،١٩٦/١.

(٦) وممن عرّف القدر بذلك: عمر بن الخطاب، و زيد بن أسلم، والإمام أحمد بن حنبل وابن القيم، انظر: مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ،١٥٥/٢، كتاب القدر للفريابي،١٦١، السنة لأبي بكر الخلال، ٥٤٤/٣، الشريعة للآجري،٨٩٥/٢، الإبانة الكبرى لابن بطة، الكتاب الثاني-القدر-، ١٣١/٢، ٢٢٢، ٢٦٢، مجموعة الفتاوى، لابن تيمية، ٣٠٨/٨، شفاء العليل لابن القيم،٤٤/١.

(٧) جامع الرسائل، لابن تيمية، ٢/ ٣٥٥.

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى لجميع المخلوقات، ومن ذلك خلقه لأفعال العباد.[٨]

فهذه هي مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر[٩]

ومستند هذه المراتب هو الوحي؛ يقول ابن القيم : السلف (القضاء والقدر عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم وأخبر بها عن ربه). [١٠]

وحقيق بالقول هنا التنويه إلى أن إثبات القدر والإيمان به لا يوجب بحال نفي الاختيار في أفعال العباد كما لا يوجب ذلك في أفعال الله تعالى.

يقول ابن الوزير :(القدر لا يوجب نفي الاختيار في أفعالنا كما لا يوجب ذلك في أفعال الله تعالى) [١١]، (ولذلك كان الله تعالى مختاراً عند الجميع مع تعلُّق القدر بأفعاله سبحانه: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١) [١٢]

ويقول الخطابي : (قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء منه معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ... وليس الأمر في ذلك على ما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد

---

(٨) انظر: العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ١٠٥، شفاء العليل، لابن القيم، ١٣٣/١، طريق الهجرتين لابن القيم، ١٩٣/١.
(٩)شفاء العليل، لابن القيم، ١٣٣/١، طريق الهجرتين لابن القيم، ١٩٣/١.
(١٠)طريق الهجرتين لابن القيم، ١٩٣/١.
(١١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، ٦/ ٣١٦.
(١٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، ٦/ ١٨٥.

وأكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها، ... وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد وتقديم إرادة واختيار، فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها).[١٣]

❖ ثانيًا: في بيان معنى إنكار القدر والتكذيب به

معنى نفي القدر والتكذيب به؛ أي: الزعم بأن لا قدر، وأن الأمر أنف[١٤]؛ أي: الأمر مستقبل، مستأنف، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه، والله لم يقدر الكتابة والأعمال.[١٥]

ويدخل في التكذيب بالقدر: إنكار عموم مشيئة الرب وقدرته وخلقه لكل شيء، أي: إنكار خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على كل شيء، والزعم بأنه يكون في ملك الله تعالى ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، وأنه لا قدرة له على أفعال عباده من الإنس والجن والملائكة ولا على أفعال الحيوانات، وأنه لا يقدر أن يضل أحدًا ولا يهديه ولا يوفقه أكثر مما فعل به، ولا يعصمه من الذنوب والكفر ولا يلهمه رشده، ولا يجعل في قلبه الإيمان، ولا هو الذي جعل المصلى مصليًا والبر برًا والفاجر فاجرًا والمؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا، بل هم الذين جعلوا أنفسهم كذلك، فلا

---

(١٣) معالم السنن للخطابي، ٣٢٢/٤-٣٢٣.

(١٤) انظر: صحيح مسلم، ١/ ٣٧.

(١٥) انظر: شرح النووي على مسلم، ١/ ١٥٦، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٧/ ٣٨٥.

يقولون: إن الله تعالى خالق كل شيء، ولا إنه على كل شيء قدير، ولا إنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن! [١٦]

يقول ابن تيمية : (**المكذبون بالقدر** القائلون: بأن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يرد أن يكون إلا ما أمر بأن يكون. وغلاتهم المكذبون بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد). [١٧]

ويقول ابن القيم : (**كان المنكرون للقدر فرقتين: فرقة كذبت بالعلم السابق ونفته، وهم غلاتهم** الذين كفرهم السلف والأئمة وتبرأ منهم الصحابة. **وفرقة جحدت كمال القدرة وأنكرت أن تكون أفعال العباد مقدورة لله تعالى وصرحت بأن الله لا يقدر عليها**، فأنكر هؤلاء كمال قدرة الرب، وأنكرت الأخرى كمال علمه). [١٨]

❖ ثالثًا: نشأة القول بإنكار القدر والتكذيب به –في الإسلام

جاء عن النبي ﷺ أنه قال: " **ثلاث أخاف على أمتي**: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، **وتكذيب بالقدر** ". [١٩]

([١٦])انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ٩٩/١-١٠٠، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ١٣/ ٣٨٧، طريق الهجرتين، ابن القيم، ١٨٩/١-١٩٠.

([١٧])مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ١٨/ ١٣٨.

([١٨]) طريق الهجرتين، ابن القيم، ١٩٧/١.

([١٩]) أخرجه أحمد في مسنده ، ٣٤/ ٤٢٣، برقم (٢٠٨٣٢)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ١٢٠.

وقد وقع في الأمة ما خشي منه النبي ﷺ؛ فظهر نفي القدر والتكذيب به، ويمكن تلخيص المراحل التي مر بها نفي القدر وإنكاره فيما يلي:

- **المرحلة الأول:**

وتتمثل في نشأت القول بنفي القدر والزعم بأن لا قدر وأن الأمر أنف، وقد ظهرت هذه المقالة الباطلة في البصرة في آخر عصر الصحابة بعد عصر الخلفاء الراشدين وأول مَن أظهر هذه البدعة –نفي القدر والتكذيب به– رجلٌ من أهل البصرة بالعراق، يقال له: سنسويه (أو سوسن) (أو سيسويه) بن يونس الأسواري، وكان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصَّر، **فأخذ عنه معبد الجهني، الذي أظهر القول بنفي القدر، وعنه أخذ غيلان بن مسلمٍ الدمشقي.** (٢٠)

فقد أخرج مسلم بسنده عن يحيى بن يعمر، قال: **كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني،** فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، **وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف،** قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم

(٢٠) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٧/ ٣٨٤، معجم البدع، رائد بن صبري، ٤٦٧.

برآء مني»، والذي يحلف به عبد الله بن عمر «لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر». [٢١]

ومن هنا يتضح أن المرحلة الأولى للتكذيب بالقدر تتمثل في مقولات معبد الجهني وغيلان الدمشقي[٢٢] وأتباعهما، وتتلخص –بزعمهم-: أن الله لم يقدر أفعال العباد ولم يكتبها، وأن الأمر أنف لم يكن في علم الرب ولا تقديره السابق.

وهؤلاء هم غلاة المكذبين القدر، وهم القدرية الأوائل ومقولتهم غالية في إنكار القدر؛[٢٣] حيث تنفي العلم والكتابة وعموم تقدير الأفعال!

ولما أنكر الصحابة ﷺ هذا القول **صار جمهور القدرية المكذبين بالقدر يقرون بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكرون عموم مشيئة الرب تعالى وقدرته وخلقه لأفعال العباد!**

([٢١]) صحيح مسلم، ١/ ٣٧، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

([٢٢])أما معبد الجهني فقد قتله الحَجَّاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٠هـ، وأما غيلان الدمشقي فقد قتله الخليفة هشام بن عبدالملك بدمشق سنة ١٠٥، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ١٨٧، مختصر تاريخ دمشق ، ابن عساكر، ٢٠/ ٢٤٨، القدرية والمرجئة٣٠-٣٢.

([٢٣])وقد قال بقولهم أتباع الفلسفة المادية فادعوا أن المستقبل ليس مقدرًا سلفًا بل يصنعه الإنسان، وأن المستقبليين (يعتقدون أن عالم المستقبل سوف تشكله القرارات والأعمال البشرية لا القدر الإلهي) -المستقبلية، إدوار كورنيش، ١٠٣، نقلاً من نقلا من أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية، محمد النعيري، ١٠٢-، ويقولون: (نحن لسنا أسرى لأقدارنا بل بالأحرى نحن مخلوقات حرة لدرجة كبيرة ولدينا قدرات فائقة على التأثير في مستقبلنا)!! الاستشراف مناهج استكشاف المستقبل، إدوار كورنيش ،٢٩٣، وانظر منه: ٣٠٠. فليحذر المسلم من الوقوع في شباكهم!

يقول ابن تيمية : (غلاة القدرية: ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف: أي مستأنف. وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرءوا منهم وأنكروا مقالتهم كما قال عبد الله بن عمر – لما أخبر عنهم –: إذا لقيت أولئك فأخبرهم: أني بريء منهم وأنهم برآء مني وكذلك كلام ابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون.

ثم كثر خوض الناس في القدر **فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكرون عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره فما شاءه فقد أمر به وما لم يشأه لم يأمر به).** [٢٤] وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل نشأة التكذيب بالقدر التي سيأتي الحديث عنها–بحول الله–

غير أنه لا يحق إغفال الإشارة إلى أن الشيعة الرافضة قد أحيوا مقالة الغلاة المكذبين بالقدر، من خلال:

١. **إنكارهم الفراغ من الأمر= (إنكارهم عموم تقدير الله السابق الشامل لجميع الأشياء، ووقوعها على ما سبق به تقديره)!!**

(٢٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٨/٤٥٠-٤٥١.

فقد ورد في مروياتهم: عن أبي عبدالله أنه قال في تفسير قول الله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ المائدة: ٦٤؛ "كانوا يقولون قد فرغ من الأمر".[٢٥]

وفي رواية سُئل أبو جعفر الباقر عن قول الله تعالى: " أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا " [٢٦] فقال: **" لم يكن شيئًا في كتاب ولا علم"**.[٢٧]

وفي رواية سُئل أبوعبد الله عن قول الله تعالى:" أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا"[٢٨] فقال: **"لا مقدرًا ولا مكونًا"**.[٢٩] (ومعناه: لا مقدرًا في اللوح المحفوظ، ولا مكونًا مخلوقًا في الأرض)!![٣٠]

ويقول المجلسي:(**ليس كما يقولون: إن الله تعالى قدر الأمر في الأزل، وقد فرغ منها**).[٣١]

([٢٥])الأمالي، الطوسي، ٦٦١، بحار الأنوار، المجلسي، ط. مؤسسة الوفاء، ١١٣/٤، ٤٨/٥.

([٢٦])في نص الرواية تحريف ظاهر للآية، وأصل الآية﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ مريم ٦٧،!!

([٢٧]) المحاسن، أحمد البرقي، برقم(٢٣٤)، ٢٤٣/١، بحار الأنوار، المجلسي، ط. مؤسسة الوفاء، ١٢٠/٥-١٢١.

([٢٨])وأصل الآية﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ مريم ٦٧، وجاء في هامش الوافي-٥٦٧/١ هامش(١)- عند تخريج الآية ما نصه: (وفي الأصل وسائر نسخ الوافي وما رأينا من نسخ الكافي هكذا: أو لم ير الإنسان . . . والآية في القرآن:﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ مريم ٦٧) فبدل أن يُقر بحصول تصحيف أشار إلى مخالفة الرواية إلى ما في القرآن!!؛ وهذا إن دلّ فإنما يدل على رسوخ معتقدهم الفاسد بتحريف القرآن!!

([٢٩])الأصول من الكافي، الكليني، كتاب التوحيد، باب البداء، برقم (٥)، ١٤٧/١، الوافي، الفيض الكاشاني، ٥٦٧/١،وقال المجلسي في مرآة العقول، ١٣٩/٢: (ضعيف).

([٣٠]) مجمع البحرين، الطريحي، ٢٥٣/١، وانظر: اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري، ٣٩٥.

([٣١])مرآة العقول، المجلسي، ١٨٩/٢٥.

٢. اعتقادهم بتعلق البداء بالعلم القديم. وزعمهم أن (القرآن ينص على عدم الفراغ من العلم، قال سبحانه: [كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾] الرحمن:٢٩، **وقال سبحانه :** ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ الرعد:٣٩)!![٣٢]

٣. قول هشام ابن الحكم–ومن تبعه– بنفي علم الله السابق بالأمور قبل كونها.[٣٣]

ولا ريب أن أقوال الشيعة السابقة من جنس قول القدرية الأوائل المكذبين بالقدر الذين كفرهم السلف والأئمة وتبرأ منهم الصحابة.

يقول ابن تيمية: اتفق (سلف الأمة وأئمتها، على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون. وقد **نص الأئمة على أن من أنكر العلم القديم فهو كافر. ومن هؤلاء غلاة القدرية**، الذين ينكرون علمه بأفعال العباد قبل أن يعملوها، **والقائلون بالبداء من الرافضة ونحوهم.**).[٣٤]

([٣٢])الإلهيات تقرير بحث الشيخ السبحاني للمكي، ٧١٨، الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل، محاضرات السبحاني بقلم المكي،٣٧٤/٢.

([٣٣])في نسبة هذا القول لهشام ابن الحكم، انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١١٢/١، التفسير الكبير، الرازي،٤٦/٢، ٢٣٩/١٢، الملل والنحل، الشهرستاني، ٢١٦/١-٢١٧، منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٢/ ٣٩٤؛ بل نسبه إليه بعض أعلام نحلته من الشيعة؛ انظر: شرح أصول الكافي، المازندراني، ٢٥١/٣-٢٥٢، بحار الأنوار، المجلسي، ٨٧/٤-٨٨، بل ورد نسبته إليه في بعض مروياتهم! انظر: الغيبة، الطوسي، ٤٣٠-٤٣١، بحار الأنوار، المجلسي، ط. مؤسسة الوفاء، ٩٠/٤، ١١٥.

([٣٤])درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٩/ ٣٩٦، وانظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ١/ ١٨٠.

- **المرحلة الثانية:**

وتتمثل في مقولة من يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكر عموم مشيئة الرب تعالى وقدرته وخلقه لأفعال العباد! وهؤلاء هم جمهور القدرية[٣٥]

وقد ظهرت هذه المرحلة بنشأة المعتزلة في أوائل القرن الثاني الهجري بالبصرة، فالمعتزلة يجعلون التكذيب بالقدر من أصولهم.[٣٦] إذ أصولهم خمسة: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٣٧] وتوحيدهم؛ هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات، **وأما عدلهم فمن مضمونه:** أن الله لم يشأ جميع الكائنات ولا خلقها كلها ولا هو قادر عليها كلها؛ بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله لا خيرها ولا شرها ولم يرد إلا ما أمر به شرعًا وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته!، **والقصد أن المعتزلة ينفون القدر ويسمون ذلك عدلاً!** [٣٨] فمعنى العدل عندهم **يتضمن التكذيب بالقدر**[٣٩]

وقد وافقهم على ذلك الشيعة كالمفيد وأبي جعفر الطوسي وأمثالهما! [٤٠][٤١] ولا غرو فمن حيث العقدية والمذهب؛ الشيعة هم ورثة المعتزلة! [٤٢]

فأصول الدين عن الإمامية أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، وهم يدخلون في التوحيد نفي الصفات، **ويدخلون في العدل التكذيب بالقدر، وأن الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضل من يشاء، وأنه قد يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وغير ذلك، فلا يقولون: إنه خالق كل شيء، ولا إنه على كل شيء قدير، ولا إنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن!** [٤٣]

وقد تبنى كثير من العصرانيين والحداثيين، وأصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي قول المعتزلة في القدر، ومالوا إليه؛ زاعمين أن العدل عند المعتزلة يعني أساسًا حرية الإرادة البشرية وقدرة الإنسان على الفعل وبالتالي مسؤوليته عما يفعل! [٤٤]

حتى ادعوا أن الإسلام لم يكن دعوة إلى الضعف والتواكل بل دعوة إلى القوة، وهو ما تعبر عنه عقيدة المعتزلة –بحسب زعمهم[٤٥][٤٦]

([٣٥]) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٨/ ٤٥٠-٤٥١.

([٣٦])درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٢/ ١٦.

([٣٧]) انظر: التنبيه والرد، الملطي، ٤٣-٤٩، الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها، الشيبي، ١٤ وما بعدها، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، المعتق، ١٤ وما بعدها.

([٣٨]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٣/ ٢٢٨.

([٣٩]) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ٥/ ٨٥.

([٤٠]) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٣/ ٣٥٧-٣٥٨، ٨/ ٣٧١، منهاج السنة النبوية، ابن تيمية،١/ ٤٢١، ٢/ ٤١٥، ٣/٢٤، جامع المسائل، ابن تيمية، -المجموعة الأولى- ١٥١.

([٤١]) انظر: عقيدة الشيعة تأصيل وتوثيق من خلال سبعين رسالة اعتقادية، جمع: محمد رضا القمي، ١٨٠.

([٤٢]) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ١/١٢٤.

([٤٣]) انظر: منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية،١/ ٩٩-١٠٠.

([٤٤]) انظر: التراث والحداثة، محمد الجابري، ٥٦.

وجعل بعضهم سبب انحدار الأمة وتخلفها: إعطاءها الأولوية لله في الفعل، وكان الواجب في نظرهم أن تجحد الإرادة الإلهية ويستقل بالاختيار الإنساني على طريقة المعتزلة! [٤٧]
بل زعم بعضهم أن النزاع بين السنة والمعتزلة هو في الأصل نزاع سياسي[٤٨] وأن مسألة القضاء والقدر -في الأصل-كانت هي نتيجة لبعض الأفكار الفلسفية وبعض المصالح السياسية! [٤٩] متجاهلين أو متغافلين عما احتوته أقوال المعتزلة من ضلال وفساد، ومعرضين عما بذله علماء السلف في بيان القول الحق في باب القدر وكشف الشبه فيه والرد على المخالفين في أمره!

❖ رابعًا: موقف السلف ممن أنكر القدر

تغلظ السلف على المكذبين بالقدر، وشنعوا عليهم مقولتهم؛ وفيما يلي بيان موقفهم منهم:

أولاً: موقف السلف من غلاة المكذبين بالقدر- القدرية الأوائل-

لم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر؛ فلما ابتدع القدرية الأوائل التكذيب بالقدر **رده عليهم من بقي من الصحابة، وتبرؤا منهم؛** كعبد الله بن عمر وجابر بن عبدالله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبدالله بن أبي أوفى وعقبة بن عامر الجهني، وأقرانهم، **وأوصَوا مَن بعدهم بألا يسلِّموا عليهم، ولا يصلُّوا على**

([٤٥])انظر: نهج الاعتزال، ٢٨٤-٢٨٥
([٤٦])انظر: نهج الاعتزال، ٢٨٤-٢٨٥
([٤٧])انظر: التراث والتجديد، حسن حنفي، ٢١، نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ظافر شرقه، ٢٩٣.
([٤٨])كما يقول بذلك الجابري؛ انظر: التراث والحداثة، محمد الجابري، ٥٧، وما بعدها، نهج الاعتزال، ٢٩٠-وما بعدها
([٤٩])الإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة لا ينافي بذل الأسباب مع التوكل على الله، فهو يجمع بين العمل والأمل والاعتقاد الجازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين، وليس في ذلك دعوة إلى التواكل والتوان بل ذلك يدعوا إلى العمل والإنتاج والتخطيط وبذل الأسباب مع الاعتماد على الله، وهذا منهج وسط بين الافراط والتفريط، فلا تواكل ولا توان، ولا اغترار بالنفس وقدراتها وركون إلى الذات!

جنائزهم، ولا يعودوا مرضاهم،[٥٠] **وأخبروا أنه لا يُقبل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر**[٥١]،بل نصوا على كفرهم، وقتلهم! [٥٢] وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية[٥٣] يعني به هؤلاء[٥٤]؛

يقول شيخ الإسلام (القدرية الذين يقولون: لم يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها، وأن الأمر أنف: لم يسبق القدر بشقاوة ولا سعادة، وهم غلاة القدرية الذين حدثوا في زمان ابن عمر وتبرأ منهم، وقد نص الأئمة.. على تكفير قائل هذه المقالة)[٥٥].

ويقول:(قد نص الأئمة على أن من أنكر العلم القديم فهو كافر، ومن هؤلاء غلاة القدرية الذين ينكرون علمه بأفعال العباد قبل أن يعملوها، والقائلون بالبداء من الرافضة ونحوهم)[٥٦].

---

(٥٠)عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: " القدرية مجوس هذه الأمة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم" صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني ، ٢/ ٨١٨.

(٥١) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن يحيى بن يعمر قال:" كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله غ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر". كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، ٣٦/١-٣٧.

(٥٢)سئل ابن عباس فقال له طاوس: يا أبا عباس الذين يقولون في القدر؟ فقال: أروني بعضهم، قال صانع: ماذا؟ قال: أدخل يدي في رأسه ثم أدق عنقه وقد مضى عنه، أدخل يدي في عينيه فأقلعها ولا نصونه، وهذا كله لا يفعل بالمسلمين وإنما بالكفار، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ٤/ ٧٨٧.

(٥٣) انظر الآثار الواردة في ذم الصحابة والتابعين للقدرية: في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي٤/٧٨١-٨٠١.

(٥٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية٢٧٣-٢٧٤.

(٥٥) جامع الرسائل١/١٧٧-١٧٨. وانظر: مجموعة الفتاوى٨/٤٥٠.

(٥٦) درء التعارض٩/٣٩٦.

و رُوي عن الإمام مالك :(أنه سئل عن القدري الذي يُستتاب؟ قال: الذي يقول: إن الله لأ لم يعلم ما العباد عاملون حتى يعملوا)[٥٧].

وعنه (أنه قال في القدرية: يُستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا)، فقيل له: من القدرية؟ فقال: (الذين يقولون: أن الله لا يعلم الشيء قبل كونه) [٥٨].

ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال:(القدري الذي يقول: إن الله لم يعلم الشيء حتى يكون هذا كافر)[٥٩].

وقد سُئل عن القدري فقال:(إذا جحد العلم يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل)[٦٠].

وعنه أنه قال: (أرى أن يستتيبه إذا جحد العلم)[٦١].

ورُوي عن الإمام الشافعي أنه قال:(القدرية الذين قال رسول الله غ:"هم مجوس هذه الأمة": الذين يقولون: إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون)[٦٢].

ورُوي عن أبي يوسف القاضي أنه سُئل ما الحكم في القدرية؟ قال:(الحكم أنه من جحد العلم أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلته)[٦٣].

وقال الإمام ابن بطة العكبري :(فمن جحد أن الله لأ قد علم أفعال العباد وكل ما هم عاملون؛ فقد ألحد وكفر)[٦٤].

يقول ابن رجب الحنبلي (من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، **وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ، فقد كذب بالقرآن، فيكفر بذلك)**[٦٥].

([٥٧]) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رقم(١٣٥٣)،٨٠٨/٤.
([٥٨])شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم(١٣٠١)،٧٧٦/٤.
([٥٩]) السنة للخلال، رقم(٨٦٤)، ٥٢٩/٣، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة١٤٢/١-١٤٣.
([٦٠]) السنة للخلال، رقم(٨٧٣)،٥٣٢/٣.
([٦١])شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم(١٣١٩)،٧٨٥/٤.
([٦٢]) مناقب الشافعي للبيهقي٤١٣/١. وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم(١٣٠٧)،٧٧٩/٤.
([٦٣])شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم(١٣٥٧)،٨٠٩/٤.
([٦٤])الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، الكتاب الثاني(القدر)٤٥/٢.
([٦٥]) جامع العلوم والحكم١٠٣/١.

ثانيًا: موقف السلف من جمهور القدرية المكذبين بالقدر –المعتزلة ومن تبعهم-

حكم السلف على من أنكر عموم مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وعموم خلقه لكل شيء وأقر بتقدم العلم والخبر والكتابة، **بأنه مبتدع، ضال، يُهجر ولا يُكفر**؛ فلم يُكفر الأئمة القدرية إذا أقروا بالعلم[٦٦] غير أنهم رأوا أن لا يناكحوا، ولا يصلى خلفهم!

فقد سُئل الإمام مالك عن أهل القدر: أيكف عن كلامهم وخصومتهم أفضل؟ قال: نعم، إذا كان عارفًا بما هو عليه، قال: ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويخبرهم بخلافهم، ولا يواضعوا القول ولا يُصلى خلفهم، قال مالك: ولا أرى أن ينكحوا[٦٧].

وسُئل الإمام أحمد عن القدري فلم يكفره إذا أقر بالعلم[٦٨]. وعنه أنه قال:(لا يُصلى خلف القدرية والمعتزلة)[٦٩]، وقد سُئل عن الصلاة خلف القدريّ فقال:(إن كان ممن يُخاصم فيه ويدعو إليه لا نُصلي خلفه)[٧٠]،كما أقر قول من قال: بأن القدريّ (صاحب بدعة، فلا يُكلم، ولا يُسلم عليه، ولا يُصلى خلفه ولا عليه)[٧١].

وخلاصة القول:

أن من يُثبت العلم والكتابة السابقة، ولكن يُنكر عموم مشيئة الله وخلقه للأشياء فهو مبتدع، يُهجر ولا يُكفر!

يقول شيخ الإسلام :(لما اشتهر الكلام في القدر؛ ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق... **مبتدعون ضالون**، لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك؛ وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم. وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم، لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له. وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره: أن من كان داعية إلى بدعة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس، وإن كان في الباطن مجتهدًا، وأقل عقوبته أن يُهجر فلا يكون له مرتبة في الدين، لا يُؤخذ عنه العلم، ولا يُستقضى، ولا تُقبل شهادته، ونحو ذلك. ومذهب مالك قريب من هذا؛ ولهذا لم يُخرج أهل الصحيح لمن كان داعية، ولكن رووا هم وسائر أهل

---

(٦٦) القدرية والمرجئة٦٣-٧٢.
(٦٧) الإبانة عن شرعة الفرقة الناجية، الكتاب الثاني، (القدر)، برقم(١٨٦١)، ٢/٢٥٦-٢٥٧.
(٦٨) السنة للخلال، رقم(٨٧١)،٣/٥٣٢.
(٦٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، برقم(١٣٥٤)،٤/٨٠٨.
(٧٠) السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، برقم(٨٣٤)، ٢/٣٨٤-٣٨٥، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة١/١٦٧.
(٧١) السنة للخلال، رقم(٩٤٩)، ٣/٥٦٢، وانظر: السنة للخلال، رقم(٩٤٨)،٣/٥٦١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، رقم(١٣٥٩)،٤/٨٠٩.

العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن رأي القدرية، والمرجئة، والخوارج، والشيعة. وقال أحمد: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة)[٧٢].

وحقيقي بالقول هنا أن سبب هذا التفريق بين حكم الفريقين، (أن مسألة خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات مسألة مشكلة، وكما أن القدرية من المعتزلة وغيرهم أخطئوا فيها، فقد أخطأ فيها كثير ممن رد عليهم أو أكثرهم)[٧٣].

ومهما يكن من أمر فإن تغليظ السلف على المكذبين بالقدر يظهر مكانة الإيمان بالقدر في دين الإسلام، ويدل على أهميته وعظم شأنه وخذلان من ضل فيه وحاد عن الحق والصواب، و لا ريب أن أسعد الناس بالصواب في هذا الباب من تلقاه من مشكاة الوحي المبين ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين وتشكيكات المشككين وتكلفات المتنطعين!

([٧٢]) مجموعة الفتاوى٧/٣٨٥-٣٨٦. وانظر: مجموعة الفتاوى١٢/٤٨٥-٤٨٦.
([٧٣]) مجموعة الفتاوى٧/٣٨٦. وانظر: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر ١/١٣٢-١٣٣.

الخاتمة

عجب من الأمر أن تتعالى أصوات المكذبين بالقدر وتظهر بعبارات متجددة وشبه ملفقه؛ فأين هؤلاء منهج السلف عقيدة وعملاً!
فقد صح أن بعض الصحابة لما سمعوا أحاديث جفاف القلم بما هو كائن، وأنهم إنما يعملون في أمر قد فرغ منه، وأن كلاً ميسر لما خلق له،[٧٤] قالوا: إذا نجتهد.[٧٥] وفي رواية: فالآن نجد الآن نجد الآن نجد.[٧٦] وفيه رد صريح على هؤلاء الذين يرددون عبارات تفيد أن صناعة القدر بأيديهم أو يدعون أن إثبات القدر –كما دلت عليه النصوص الشرعية – يسوغ العجز والانهيار والاخلاد في الأرض وترك عمارتها وهو سبب لتخلف الأمة الإسلامية؛ فتأمل![٧٧]

فدونكم يا هؤلاء فهم الصحابة! فما وُجد فيهم ﷺ من ادعى أنه يصنع قدره بنفسه ولا من قعد به إيمانه بالقدر عن العمل والكد والجهاد والصبر والأخذ بالأسباب، بل كان القدر أكبر داع وأكبر عامل لهم ليقوموا بما قاموا به من أعمال عظام، وبذلٍ للأسباب مع التوكل على الله والاعتماد عليه، و دفع القدر بالقدر، فكانوا في منهج وسط بين الجبرية المتواكلة المتخاذلة عن العمل والسعي لإعمار الدنيا والآخرة بادعائها الجبر ونفيها أية مشيئة للإنسان، وبين القدرية التي تنفي تعلق مشيئة الله وخلقه بأفعال العباد وتفضي على الإنسان هالة التعظيم وتجعل مشيئته هي المسيطرة وأنه هو الخالق لأفعاله!

وبعد ..

ففيما يلي ذكر أهم النتائج المستخلصة من هذه الورقة العلمية وذكر التوصيات :

❖ **النتائج:**

١- الايمان بالقدر ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به.
٢- القدر منشؤه عن تقدير الله السابق وقدرته على إيجاد ما قدر.

---

(٧٤)انظر: صحيح البخاري، ٨/ ١٢٢، ٩/ ١٦٠، صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٤٠.
(٧٥)انظر: السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة، تحقيق: لألباني، ١/ ٧١.
(٧٦)انظر: السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة، تحقيق لألباني، ١/ ٧٣.
(٧٧)متن الطحاوية بتعليق الألباني، ٤٨.

٣- إثبات القدر والإيمان به لا يوجب بحال نفي الاختيار في أفعال العباد.
٤- انقسم الخائضون في القدر بالباطل إلى ثلاثة أقسام.
٥- المنكرون للقدر فرقتين: فرقة كذبت بالعلم السابق ونفته، وهم غلاتهم، وفرقة جحدت كمال القدرة وأنكرت أن تكون أفعال العباد مقدورة لله تعالى وصرحت بأن الله لا يقدر عليها.
٦- لم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر.
٧- ظهر القول بإنكار القدر وادعاء أن الأمر أنف في البصرة في آخر عصر الصحابة بعد عصر الخلفاء الراشدين.
٨- ظهرت مقولة من يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق و ينكر عموم مشيئة الرب تعالى وقدرته وخلقه لأفعال العباد حين نشأت المعتزلة في أوائل القرن الثاني الهجري بالبصرة.
٩- غلظ السلف على المكذبين بالقدر، وشنعوا عليهم مقولتهم.
١٠- تبرأ الصحابة من الغلاة المكذبين بالقدر، وأوصَوا بترك السلام عليهم، وترك الصلاة على جنائزهم، وترك عيادة مرضاهم وأخبروا أنه لا يُقبل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر، بل نصوا على كفرهم، وقتلهم!
١١- تبنى الحداثيون أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي قول المعتزلة في القدر.
١٢- حكم السلف على من أثبت العلم والكتابة السابقة، وأنكر عموم مشيئة الله وخلقه للأشياء بأنه مبتدع، يُهجر ولا يُكفر لكن لا يناكح، ولا يصلى خلفه!
١٣- تغليظ السلف على المكذبين بالقدر يظهر مكانة الإيمان بالقدر في دين الإسلام، ويدل على أهميته وعظم شأنه!

❖ التوصيات:

أهم التوصيات التي توصل إليها البحث؛ ما يلي:

١- ضرورة دحض مزاعم الحداثيين في ادعاءاتهم أن الإيمان بالقضاء والقدر لم يكن من مسائل الإسلام إنما هو نتيجة بعض الأفكار الفلسفية والاتجاهات السياسية!
٢- ضرورة بيان خطر الأقوال التي تتضمن نفي القدر والتكذيب به ، كالعبارات الدعائية المنتشرة عبر الشبكات العنكبوتية: من مثل: قم وتمرد واصنع قدرك بنفسك، أنا أصنع قدري ، لابد أن يستجيب القدر !
٣- ضرورة العناية بإعداد دراسات تبين أن مقالات منكري القدر لم تنتهي بعد، ولكنها تظهر تحت شعارات مبطنة ؛ فالباطل يكرر ادعاءاته بأشكال مختلفة، ولكن ليس فيه مضمون جديد .